

المبحث الخامس شروط الشهادتين

المبحث الخامس: شروط الشهادتين: ذكر العلماء لكلمة الإخلاص سبعة شروط، نظمها بعضهم بقوله: علم يقين وإخلاص وصدق مع محبة وانقياد والقبول لها وهذه الشروط مأخوذة بالاستقراء والتتبع للأدلة من الكتاب والسنة، وقد أضاف بعضهم إليها شرطاً ثامناً، ونظمه بقوله: وزيد ثامن الكفران منك بما سوى الإله من الأنداد قد أُلها وأخذ هذا الشرط من قوله -صلى الله عليه وسلم- { من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه } رواه مسلم رواه مسلم برقم (23)، في الإيمان، باب "الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله... إلخ". وذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، ثم قال بعده: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه.. إلخ. ومعنى هذا الشرط أن يعتقد بطلان عبادة من سوى الله، وأن كل من صرف شيئاً من خالص حق الله لغيره فهو ضال مشرك، وأن كل المعبودات سوى الله من قبور وقباب وبقاع وغيرها، نشأت من جهل المشركين وخرافاتهم، فمن أقرهم على ذلك أو تردد في صوابهم أو شك في بطلان ما هم عليه فليس بموحد، ولو قال: لا إله إلا الله. ولو لم يعبد غير الله. ومع ذلك فإن الشروط السبعة هي المشهورة في كتب أئمة الدعوة -رحمهم الله- فنذكر عليها بعض الأدلة للتوضيح: الشرط الأول: العلم: ودليله قوله تعالى: { فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } . وروى مسلم عن عثمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- { من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة } . والمراد: العلم الحقيقي بمدلول الشهادتين وما تستلزمه كل منهما من العمل وضد العلم الجهل، وهو الذي أوقع المشركين من هذه الأمة في مخالفة معناها، حيث جهلوا معنى الإله، ومدلول النفي والإثبات، وفاتهم أن القصد من هذه الكلمة معناها، وهو الذي خالفه المشركون العالمون بما تدل عليه، حيث قالوا: { أَعْلَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا } وقالوا: { أَنْ أَمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ } . الشرط الثاني: اليقين: وضده الشك والتوقف، أو مجرد الظن والريب. والمعنى: أن من أتى بالشهادتين فلا بد أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله، من أحقية إلهية الله تعالى، وصحة نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وبطلان إلهية غير الله بأي نوع من أنواعه، وبطلان قول كل من ادعى النبوة بعد محمد -صلى الله عليه وسلم- فإن شك في صحة معناها أو توقف في بطلان عبادة غير الله، لم تنفعه هاتان الشهادتان. ودليل هذا الشرط ما رواه مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الشهادتين: { لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة } . وفي الصحيح عنه أيضاً، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: { من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة } رواه مسلم برقم (31)، في الإيمان، باب "الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً". وقد مدح الله تعالى المؤمنين بقوله: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا } . ودم المنافقين بقوله: { وَإِذْ تَبَأْتُ فُلُوبُهُمْ قَهُمُ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } . وقد روي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله ذكره البخاري تعليقا كما في الفتح: 1/60، وقال الحافظ: وصله الطبراني بسند صحيح، وأبو نعيم في الحلية. . ولا شك أن من كان موثقاً بمعنى الشهادتين، فإن جوارحه تنبعت لعبادة الرب وحده، ولطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام. الشرط الثالث: القبول المنافي للرد: فإن هناك من يعلم معنى الشهادتين، ويوقن بمدلولهما ولكنه يردهما كبراً وحسداً، وهذه حالة علماء اليهود والنصارى فقد شهدوا بإلهية الله وحده، وعرفوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك لم يقبلوه: { حَسَدًا مِنْ عَدُوِّ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } . وهكذا كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله، وصدق محمد -صلى الله عليه وسلم- ولكنهم يستكبرون عن قبوله، كما قال تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } وقال تعالى: { قَاتِبُهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } . الشرط الرابع: الانقياد: ولعل الفرق بينه وبين القبول، أن الانقياد: هو الاتباع بالأفعال، والقبول: إظهار صحة معنى ذلك بالقول، ويلزم منهما جميعاً الاتباع ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله. قال الله تعالى: { وَآيْتِنَا إِلَىٰ رَبِّكُمُ وَأَسْلِمُوا لَهُ } وقال تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ } وقال تعالى: { وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ } . فهذا هو الانقياد لله تعالى بعبادته وحده، فأما الانقياد للنبي -صلى الله عليه وسلم- بقبول سنته، واتباع ما جاء به والرضى بحكمه، فقد ذكره الله تعالى بقوله: { قَلَّا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } . فاشترط في صحة إيمانهم أن يسلموا تسليماً لحكمه، أي ينفقوا ويدعوا لما جاء من ربه. الشرط الخامس: الصدق: وضده الكذب، وقد ورد اشتراط ذلك في الحديث الصحيح، عنه -صلى الله عليه وسلم- { من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة } رواه أحمد في المسند: 4/61، عن رفاعة الجهني، ورواه أحمد أيضاً: 4/402، عن أبي موسى رضي الله عنه. . فأما من قالها بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإنها لا تنجيه، كما حكى الله عن المنافقين أنهم قالوا: { تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } وقال تعالى: { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } . وهكذا كذبهم بقوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } . للشرط السادس: الإخلاص: وضده الشرك، قال الله تعالى: { قَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ الْأَلِلَهُ الدِّينِ الْخَالِصُ } وقال تعالى: { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } وقال: { قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي } . وفي الصحيح: عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه } وهو معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث عتيان { فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله } . فالإخلاص: أن تكون العبادة لله وحده، دون أن يصرف منها شيء لغيره، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وكذا الإخلاص في اتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- بالاعتصام على سنته، وتحكيمه، وترك البدع والمخالفات، وكذا ترك التحاكم إلى ما وضع البشر من قوانين وعادات ابتكروها وهي مصادمة للشرعية، فإن من رضيها أو حكم بها لم يكن من المخلصين. الشرط السابع: المحبة: المنافية لصددها من الكراهية والبغضاء؛ فيجب على العبد محبة الله ومحبة رسوله ومحبة كل ما يحبه من الأعمال والأقوال، ومحبة أوليائه وأهل طاعته، فهذه المحبة متى كانت صحيحة ظهرت آثارها على البدن، فترى العبد الصادق يطيع الله ويتبع رسوله -صلى الله عليه وسلم- ويعبد الله حق عبادته، ويلتذ بطاعته، ويسارع إلى كل ما يحبه مولاه من الأقوال والأعمال، وتراه يحذر المعاصي ويتعد عنها، ويمقت أهلها ويبغضهم، ولو كانت تلك المعاصي محبوباً للنفس ولذيدة في العادة لعلمه بأن النار حفت بالشهوات، والجنة حفت بالمكاره، فمتى كان كذلك فهو صادق المحبة، ولهذا سئل ذو النون المصري -رحمه الله- متى أحب ربي؟ فقال: إذا كان ما يبغضه أمر عندك من الصبر ذكره أبو نعيم في الحلية: 9/363، بإسناده عنه. . ويقول بعضهم: من ادعى محبة الله ولم يوافقه فدعواً باطلة. وقد شرط الله لعلامة محبته اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } . وقد سبق أن ذكرنا بعض الأدلة على محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وما تستلزم من الأعمال فكذلك محبة الله تعالى.